الصفحات: 281-296

المجلد13،العدد1، يونيو 2024
Volume 13, Issue 1, June 2024
The Scientific Journal of the Faculty of Education

منهج الإمام الشربيني في توظيف القراءات القرآنية وعرض المسائل اللغوية من خلال كتابه (السراج المنير)

Imam Al-Sherbini's Approach to Employing Qur'anic Readings and Presenting Linguistic Issues Through His Book (Alseraj Almoneer)

صفاء محمد قائد الوذن Safaa Muhammad Qayed Al-Adhan

دكتوراه، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس.

Faculty of Arts, Mohammed V University

Safa12493@gmail.com

سعيد المقص، دكتوراه - جامعة محمد الخامس Saeed Al-Maqas

Mohammed V University

almagassaeed@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/04/ 08 تاريخ القبول: 2024/04/ 18 تاريخ النشر: 2024/06/01

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى التعريف بالفقيه الشافعي الخطيب محمد الشربيني ، وبيان مكانته العلمية والفقهية، ومذهبه العقدي والفقهي، ومنهجه في الاستدلال بالقراءات القرآنية على الأحكام الفقهية، والمسائل والقضايا العقدية من خلال كتابه في التفسير (السراج المنير)، هذا، وقد اعتمدت الباحثة على المنهج الاستقرائي التحليلي والوصفي، وخلصت إلى أن هذا الكتاب (تفسير السراج المنير) من أهم كتب التفسير العلمية المعاصرة، إذ اشتمل على القراءات القرآنية والأحكام الفقهية، والقضايا العقدية، والمعاني، والمسائل اللغوية، والنحوية، والبلاغية، فهو كتاب قيم، عظيم النفع والفائدة، هذا ما يجعل طالب العلم لا يستغني عنه بأي حال من الأحوال، وتوصلت الباحثة إلى أن المؤلف . رحمه الله .شافعي المذهب، أشعري العقيدة.

الكلمات المفتاحية: الإمام الشربيني، منهجه في الاستدلال بالقراءات، الأحكام الفقهية ،القضايا العقدية.

Abstract

This research aimed to Introduce the Shafi'I jurist and preacher Mohammad alsherbini, and to explain his scientific and jurisprudential status, his doctrinal and jurisprudential doctrine, and his approach to inferring jurisprudential rulings and doctrinal issues and issues from Qur'anic readings through his book of Interpretation (Al-Siraj Al-Munir). The researcher relied on the inductive, analytical and descriptive approach, and concluded that The book of the interpretation of (Alseraj Almoneer) is one of the most Important contemporary scientific books of interpretation. It includes Qur'anic readings, jurisprudential rulings, doctrinal Issues, meanings, and linguistic, grammatical, and rhetorical issues. It is a valuable book of great benefit and Interest that the seeker of knowledge cannot do without under any circumstances. The researchers concluded that the author – may God have mercy upon him - is a Shafi'I in doctrine and an Asha'ari in belief.

Keywords: Imam Al-Sherbini, his approach to reasoning based on readings, jurisprudential rulings, doctrinal Issues.

https://doi.org/10.60037/edu.v13i(1).1933

المجلد13،العدد1، يونيو 2024
Volume 13, Issue 1, June 2024
The Scientific Journal of the Faculty of Education

المقدمـــة:

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير محمد بن عبد الله الصادق الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فعلم القراءات من أهم العلوم الشرعية التي يحتاج إليها المفسر وأعظمها وأشرفها لارتباطها بالقرآن الكريم كلام الله تعالى، وشرف العلم من شرف المعلوم، ولذلك فلا يمكن تجاوزها أو الاستغناء عنها أبدا بأي حال من الأحوال، وقد اعتنى المفسرون بهذا العلم أيما اعتناء، وعدوه من العلوم النفيسة والضرورية التي يحتاج إليها المفسر في بيانه لمعاني القرآن الكريم وتفسيره واستخراج أحكامه وحِكمه.

وقد بدأت القراءات القرآنية مع نزول الوحي على رسول الله ﷺ. إذ جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ عند أضاة بني غفار، فأمره أن يقرأ بحرف، وظل الرسول ﷺ يستزيده حتى قال له: (إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا)[1].

ومن المفسرين والعلماء الربانيين الذين برزوا في هذا العلم. علم القراءات. واهتموا به وأولوه عناية بالغة وكبيرة، ومنهم الإمام والخطيب الشربيني. موضوع حديثنا. وذلك ظاهر بوضوح وجلاء في تفسيره: " السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير" .

ولأهمية هذا العلم أردت أن أقف على بعض القراءات القرآنية المتعلقة بالقضايا والمسائل العقدية، والأحكام الفقهية، الواردة في هذا التفسير النفيس، أسأل الله الإعانة والتوفيق والسداد.

أهمية البحث:

للبحث في هذا الموضوع أهمية كبيرة، تكمن هذه الأهمية في عدة نقاط، لعل من أهمها:

1. التعرف من خلال هذا البحث على عالم جليل له أثر كبير في خدمة القرآن الكريم وتفسيره، بشكل خاص، والتراث الإسلامي بشكل عام.

2- إبراز منهج الإمام الشربيني رحمه الله في تناوله للقراءات القرآنية، وربطها بالقضايا والمسائل العقدية والأحكام الفقهية.

3. إظهار الصلة الوثيقة بين القراءات القرآنية وعلم التفسير، من حيث إثراء المعاني والقضايا والأحكام المستنبطة من القرآن الكريم.

أسباب اختيار البحث:

لاختيار البحث في هذا الموضوع أسباب كثيرة، من أهمها:

1.عناية الإمام الشربيني بالقراءات القرآنية في تفسيره، إذ يحتوي تفسيره .السراج المنير .على مادة علمية تستحق الدراسة والبحث.

2 .بيان منهج الإمام الشربيني في تعامله مع القراءات القرآنية، وكيفية توظيفها توظيفا سليما في عدة قضايا ومسائل علمية.

3 .المساهمة في إبراز الكنوز العلمية والثقافية للتراث الإسلامي، بالتعرف على بعض العلماء وبيان طريقتهم ومنهجهم في خدمة التفسير بشكل خاص والتراث بشكل عام.

منهج البحث:

استخدمت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي والوصفي، حيث قمت بالتعريف بالمؤلف وتفسيره من خلال تتبع كتب التراجم والمعاجم والتاريخ، ثم عرض منهجه في الاستدلال بالقراءات على القضايا العقدية والأحكام الفقهية، من خلال كتابه في التفسير.

هيكل البحث: يتضمن البحث: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وبيان ذلك على النحو التالي:

ـ المقدمة: وفيها أهمية البحث، وأسباب اختياره، ومنهجه، وثلاثة مباحث، وقد تم هيكلتها على النحو التالي:

.المبحث الأول: التعريف بالمؤلف (ترجمته) ويتضمن مطلبين.

المطلب الأول: حياته الشخصية (اسمه، مولده ونشأته، ووفاته).

المطلب الثاني: حياته العلمية وآثاره ومؤلفاته: (شيوخه، تلاميذه، رحلته العلمية، مذهبه الفقهي والعقدي).

ـ المبحث الثاني: التعريف بتفسير الشربيني (السراج المنير)، وأنواع القراءات الواردة فيه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بتفسير الشربيني(السراج المنير).

المطلب الثاني: أنواع القراءات الواردة في تفسير الشربيني.

أولا: القراءات الصحية الواردة في تفسيره.

ثانيا: القراءات الشاذة الواردة في تفسيره.

.المبحث الثالث: منهجه في الاستدلال بالقراءات القرآنية.

المطلب الأول: منهجه في الاستدلال بالقراءات القرآنية على الأحكام الفقهية.

المطلب الثاني: منهجه في الاستدلال بالقراءات القرآنية على القضايا العقدية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث.

المجلد13،العدد1، يونيو 2024
Volume 13, Issue 1, June 2024
The Scientific Journal of the Faculty of Education

وسنبدأ في بيان ذلك حسب الآتي:

المبحث الأول :التعريف بالإمام الشربيني (ترجمته).

المطلب الأول: حياته الشخصية (اسمه ومولده ونشأته ووفاته).

أولا :اسمه ونسبه:

هو محمد بن أحمد الشربيني المعروف بالخطيب الشربيني(شمس الدين)[2]، والشربيني: نسبة إلى شربين، وهي بلدة بمحافظة الدقهلية بمصر، وتقع الدقهلية على شعبة من النيل [3].

ثانيا: مولده:

الظاهر من أغلب كتب التراجم أن الخطيب الشربيني ولد في الربع الأول من القرن العاشر؛ لأنه أخذ من علماء توفوا في تلك الحقبة الزمنية، فهذا شيخه شهاب الدين زكريا الرملي المتوفى في سنة ثلاثة وعشرين وتسعمائة، وكذلك شيخه أحمد البرلسي توفي في القرن نفسه في سنة سبع وخمسين وتسعمائة [4].

ثالثا: نشأته ووفاته:

لم تشر كتب التراجم والرجال عن نشأته .رحمه الله .ولكن وُجِدتْ في مقدمة تحقيق كتابه (الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع) ترجمة مختصرة حول نشأته أنه أحد أبناء جامع الأزهر منارة الإسلام، وقد تلقى علومه الأولى فيه، ثم أكمل دراسته فيه، وكان خطيبا في بلدة شربين، وعرف مسجده باسمه: مسجد شمس الدين الشربيني [5].

وبعد حياة زاخرة بالعلم والتدريس والإفتاء والتأليف قضاها الخطيب الشربيني رحمه الله، توفي سنة (977 هـ)، بعد عصر يوم الخميس ثاني شعبان، تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته بمقدار ما قدم من فضل وعلم للإسلام والمسلمين [6].

المطلب الثاني: حياته العلمية (شيوخه، تلاميذه، آثاره العلمية ومؤلفاته).

أولا: حياته العلمية:

توج الخطيب الشربيني حياته العلمية بالنشاط والجد والاجتهاد، وصحبة أهل العلم وتلقى العلم عنهم، ثم حاول جاهدا بالتعليم والتدوين، وبالرغم من أن الخطيب الشربيني .رحمه الله .لم يسافر وبقي في مصر، إلا أن الفترة التي عاشها . في القرن العاشر الهجري .لاقت ازدهارا واسعا في المجال العلمي والثقافي في مصر، وذلك بعد توافد علماء العراق وبلاد الشام والأندلس إلى مصر واختيارها محلا لهم، عقب الكوارث التي أصابت العراق والشام على أيدي المغول، والأندلس على أيدي المسيحين، وهذه الظروف كلها إلى جانب إحياء الخلافة العباسية بمصر على أيدي المماليك

عام 659 هـ هيأت القاهرة لأن ترث بغداد وتصبح مركزا للنشاط العلمي والديني في العالم الإسلامي فكثرت الرحلات العلمية إليها.

ذلك هو السبب الذي جعل الخطيب الشربيني لم يكن بحاجة إلى الرحلة في طلب العلم إلى خارج مصر، فلم تشر المصادر إلى أنه رحل خارج مصر لطلب العلم، إلا أنه سافر للحج مرارا، وكان يعلم الناس مناسك الحج وآداب السفر ويحثهم على الصلاة.

وقد تلقى الشربيني .رحمه الله .العلم من علماء الشافعية، فكل شيوخه شافعية، وأغلبهم من علماء الأزهر الشريف، وقد أجازوه بالإفتاء والتدريس، فدرس وأفتى في حياة شيوخه، وانتفع به طلاب علم وخلائق لا يحصون، وقد وصفه أهل مصر بالعلم والورع وكثرة العبادة والنسك[7].

ثانيا: شيوخه وتلاميذه:

تلقى الإمام الشربيني .رحمه الله .العلوم الأولى في مصر حيث ولد فيها، وعاش وترعرع، فقد أخذ عن علمائها الأجلاء الشيء الكثير في الفقه والتفسير واللغة والنحو والصرف والقراءات وغير ذلك، ودرس العلم في حياة شيوخه، وبعد موتهم.

شيوخه: وشيوخه كثيرون فمن أبرزهم:

1. أحمد البرلسي: أحمد الشيخ الإمام العلامة المحقق شهاب الدين البرلسي، المصري الشافعي، أخذ العلم عن عدة مشائخ، منهم الشيخ نور الدين المحلي، وكان عالما زاهدا ورعا، حسن الأخلاق، وقد انتهت إليه الرياسة في تحقيق المذهب، فكان يفتي ويدرس حتى أصابه الفالج، وتوفي في سنة سبع وخمسين وتسعمائة هجرية.
2. محمد المشهدي: هو محمد بن أبي بكر الشيخ الإمام الفاضل، بدر الدين ابن الشيخ العلامة بهاء الدين المشهدي المصري الشافعي، كان عاقلا دمث الأخلاق دينا صينا كثير العبادة، ولد في سنة اثنتين وستين وثمانمائة هجرية.
3. أحمد الرملي: هو الشيخ العالم العلامة الناقد الجهبذ الفهامة، شيخ الإسلام والمسلمين شهاب الدين الرملي المصري الأنصاري الشافعي، وقد توفي في سنة سبع وخمسين وتسعمائة هجرية.

.أما تلامذته:

فلم تذكر كتب التراجم أن أحدا أخذ عن الإمام الشربيني سوى ابنه عبد الرحمن، وهو عبد الرحمن بن محمد المنعوت زين الدين بن شمس الدين الخطيب الشربيني، الفقيه الشافعي المصري،

المجلد13،العدد1، يونيو 2024
Volume 13, Issue 1, June 2024
The Scientific Journal of the Faculty of Education

الإمام العمدة ابن الإمام العمدة، كان من أهل البراعة والعلم في فنون كثيرة، حسن الأخلاق كثير التواضع، أخذ عن والده وغيره، توفي في صفر سنة أربع عشر بعد الألف[8].

ثالثا: عقيدته ومذهبه الفقهي:

(1) عقيدته: الإمام الشربيني .رحمه الله .أشعري العقيدة ويظهر ذلك من خلال تفسيره لبعض المسائل العقدية، ومن ذلك تفسيره لمسألة غضب الله بإرادة الانتقام، وهذه هي طريقة الأشاعرة. فعند تفسيره لقول الله تعالى: (غير المغضوب عليهم) سورة الفاتحة: 3 ، فإن قيل: ما معنى غضب الله؛ لأن الغضب ثوران النفس عند الانتقام أو تغير يحصل عند ثوران دم القلب وإرادة الانتقام وهو محال في حق الله ؟

أجيب: بأنه إذا أسند إلى الله تعالى أريد به المنتهى والغاية، فمعناه إرادة الانتقام من العصاة، وإنزال العقوبة بهم، وأن يفعل بهم ما يفعل الملك إذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته[9]. وذلك ظاهر في كثير من المسائل العقدية التي وافق الأشاعرة في أغلبها.

(2) مذهبه الفقهي: نهج الإمام الشربيني .رحمه الله .منهج الإمام الشافعي في الفقه وسار على مذهبه، وذلك ما صرح به كثير من العلماء كالنجم الغزي وابن العماد [10]. فعند تفسيره للآيات القرآنية يظهر مذهبه الفقهي بشكل صريح، فمثلا تفسيره لقول الله تعالى: (واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والأصال ولا تكن من الغافلين)، سورة الأعراف: 205. فقال: " ذلك أمر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الإمام من قراءة الفاتحة كما هو مذهب الشافعي رحمه الله [11].

رابعا: آثاره العلمية:

لقد عاش الإمام الشربيني .رحمه الله .في أواخر الدولة المملوكية وأوائل الدولة العثمانية، وهذه الفترة تميزت بالحركة العلمية النشطة، بعد أن أصبحت مصر مركزا للنشاط العلمي والديني في العالم الإسلامي ما دعا الإمام الشربيني إلى أن يتجه نحو التأليف والإبداع في مجالات مختلفة أبرزها: الفقه، والبلاغة، والتفسير، والعقيدة، والنحو والصرف، فمؤلفاته كثيرة، وأهم ما تم الوصول إليها هي:

1ـ السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: وهو كتاب في التفسير .محل البحث لهذه المقالة العلمية التي نحن بصدد البحث فيها، ويتكون هذا التفسير من أربعة أجزاء وله عدة طبعات.

2ـ مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: وهو كتاب في الفقه، وجاء على شرح متن المنهاج للإمام أبي زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي،(المتوفى: 676هـ)، ويحتوي على جميع أبواب الفقه، وفيه عدة طبعات، جاءت الأولى في ستة مجلدات.

3. مناسك الحج: وهو كتاب في الفقه .أيضا . ويبحث في أحكام الحج وأركانه وواجباته، ويتكون من جزء واحد.

4 .شرح كتاب المنهاج في شعب الإيمان: كتاب في العقيدة، ويبحث في المسائل العقدية التي تتعلق بأصول الإيمان، للحسين ابن الحسن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبي عبد الله الحليمي، المتوفى(403هـ)، ولهذا الكتاب عدة طبعات، ويتكون من ثلاثة أجزاء.

5 .فتح الخالق المالك في حل ألفاظ ألفية ابن مالك: كتاب نفيس في النحو، وهو عبارة عن شرح لألفية العلامة جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي المالكي، المتوفى(672 هـ).

6 .الفتح الرباني في حل ألفاظ تصريف عز الدين الزنجاني: كتاب في الصرف، وهو شرح لمتن تصريف الزنجاني، ويتناول فيه بيان مسائل التصريف، وتحليلها وإعراب تراكيبه، وتوضيح أمثلته، ومناقشة آرائه ومسائله.

7 .تقريرات على المطول: عبارة عن مخطوطة مفيدة في البلاغة، تناول فيها الشربيني .رحمه الله .تقريرات بلاغية على مخطوطة المطول للعلامة مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني.

المبحث الثاني: التعريف بتفسيرالإمام الشربيني، و أنواع القراءات الواردة فيه:

حدد الإمام الشربيني منهجه ومعالم تفسيره في السراج المنير، وسار بتفسيره في حدود هذه المعالم دون زيادة ولا نقصان، وتلك المعالم التي ذكرها هي:

1 . الاقتصار على القراءات السبع المشهورة، ولذلك فقد وضع لنفسه في مقدمة تفسيره شرطا والتزم به، حيث قال:" فإن ذكرت فيه شيئا من القراءات، فهي من السبع المشهورات"[12].

2 . إذا ذكر قراءة شاذة بين سبب إيراده لها، وذلك ما صرح به بقوله: " ولم أذكر في التفسير قراءة شاذة إلا هذه، لكونها في شرف الرسول. ﷺ .وقراءة السيدة فاطمة ﷺ "[13]، وسوف أذكر أمثلة على ذلك، أثناء الحديث عن القراءات الشاذة، في المطلب الثاني من هذا المبحث الذي نحن بصدده.

3 . قد ترد بعض الأحيان قراءات شاذة في تفسيره، لكن ذكرها من باب الاستدلال والترجيح للمعاني[14]، مع بيان السبب كما ذكرت سابقا.

المجلد13،العدد1، يونيو 2024
Volume 13, Issue 1, June 2024
The Scientific Journal of the Faculty of Education

وفي هذا المبحث سأتحدث باختصار عن التعريف بتفسير السراج المنير .نبذة مختصرة . وسأذكر أنواع القراءات الواردة في هذا التفسير.

المطلب الأول: التعريف بتفسير السراج المنير:

تفسير السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، أحد كتب تفسير القرآن الكريم المعاصرة، ألفه الفقيه الشافعي محمد الشربيني .رحمه الله . ويعد هذا التفسير موسوعة علمية كبيرة اشتملت على القراءات القرآنية، والأحكام الفقهية والقضايا العقدية، وقد تميز بكثرة الاستشهاد بالمسائل اللغوية والنحوية والبلاغية، مع ذكر أقوال الأدباء والشعراء في بعض الأحيان، وبالرغم من علو شأن هذا التفسير ونفاسته وميزته، إلا أنه .جهد بشري. لا يخلو من وجود بعض الملاحظات، وبيان ذلك كالتالي:

.ما يؤخذ على تفسير السراج المنير:

الإمام الشربيني .صاحب كتاب السراج المنير .عالم جليل برع في الإفتاء والتدريس، وتبحر في علوم شتى كالتفسير والفقه واللغة، وقد اشتمل تفسيره على مادة علمية مفيدة في علم القراءات وغيرها من العلوم، فهو كتاب عظيم القدر جليل الفائدة، ومع مكانة هذا الكتاب وعلو قدره، إلا أنه يؤخذ عليه بعض المآخذ والملاحظات، هذه الملاحظات لا تنقص من قدر صاحب الكتاب، ولا تقدح في تفسيره، فهو عالم مشهور ومفسر عظيم، وتلك الملاحظات كما يلي:

1. الاقتصار في استعراض القراءات القرآنية على القراءات السبع المشهورة فقط، دون التطرق للقراءات المتواترة الثلاث المكملة للعشر، وبذلك يكون فاته الكثير من المواضع الهامة التي فيها إثراء للمعاني اللغوية والنحوية، ولا شك أنه أورد شرطا في بداية تفسيره بالاقتصار على تلك القراءات السبع، ولكنه لو أوردها في تفسيره لزاد من قوته، وظهرت فيه فوائد جمة.
2. لم يستغرق في تفسيره جميع القراءات، إذ ترك بعضها مع أنها من القراءات السبع.
3. كان أحيانا لا ينسب القراءة إلى صاحبها، حيث كان يقول: (وقرئ كذا)، مع أن هذه القراءة من السبع المتواترة التي هي الأغلب في تفسيره.
4. لا يعين اللغات أحيانا عند توجيه القراءات باللغات، ويكتفي بقوله: " وهما لغتان "، ومثال ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: (فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن أنس قبلهم ولا جان) سورة الرحمن : 56. قال: " وقرأ الكسائي: (يطمُثهن) بضم الميم في الموضعين بخلاف عنه وتخييرا في أحدهما، وهما لغتان: يقال طمَثها يطمِثُها ويطمُثُها إذا جامعها "[15].

5 . ينقل أقوال العلماء في الترجيح (كالبيضاوي) ولا يعلق على ترجيح العلماء لقراءة بعينها على أخرى، ومثال ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: (إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين) سورة النحل: 37. قال: " وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿ يَهدِي ﴾ بفتح الياء وكسر الدال، والباقون: ﴿ يُهدَي ﴾ بضم الياء وفتح الدال على البناء المفعول، قال البيضاوي: وهو أبلغ "[16].

ويلاحظ من هذا المثال أن الشربيني ذكر ترجيح البيضاوي لقراءة الضم، ولم يذكر سبب الترجيح، مع أن القراءتين متواترتين، ولم يعلق على ذلك، فكان لابد من التعليق حتى لا ينتقص من قراءة صحيحة، مما يوحي برضاه عن ذلك.

المطلب الثاني: أنواع القراءات الواردة في تفسير الشربيني.

كما بينت سابقا أن الإمام الشربيني اعتنى بالقراءات القرآنية في تفسيره، وذلك لمكانتها بين العلوم، فهي من العلوم الجليلة القدر العظيمة الشأن، وفي هذا المبحث سأتحدث باختصار عن أثر القراءات القرآنية في التفسير (أولا)، وأنواع القراءات التي ذكرها الشربيني .رحمه الله . في تفسيره (ثانيا)، وبيان ذلك كالتالي:

.أثر القراءات القرآنية في التفسير:

إن لتعدد القراءات واختلافها فوائد كثيرة وجليلة وآثارا بالغة في التفسير، واستنباط المعاني واتساعها، فبتعدد القراءات تتسع المعاني وتتعدد، وهذا دليل على عظمة القرآن وإعجازه، وقد أشار إلى ذلك الزرقاني بقوله: "إن تنوع القراءات يقوم مقام تعدد الآيات، وذلك ضرب من ضروب البلاغة، يبتدئ من جمال هذا الإيجاز وينتهي إلى كمال الإعجاز، أضف إلى ذلك ما في تنوع القراءات من البراهين الساطعة، والأدلة القاطعة على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى، وعلى صدق ما جاء به رسول الله .ﷺ .فالقرآن الكريم على تنوع قراءاته لا يوجد فيه تناقض ولا تضاد، وإنما يصدق بعضه بعضا، ويشهد بعضه لبعض، على نمط واحد في علو الأسلوب والتعبير، وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم، وذلك من غير شك يفيد تعدد الإعجاز بتعدد القراءات والحروف "[17].

ومما سبق يتضح .وبدون شك .أن للقراءات أثرا بالغا في تفسير القرآن الكريم واستنباط المعاني الجديدة واتساعها، إذ إن كل قراءة توضح وتبين معنى جديدا لم تبينه القراءة السابقة، وقد أرجع العلماء **اختلاف القراءات إلى سببين:**

الأول: ما كان سببه يرجع إلى اختلاف اللهجات العربية، والذي من أجله نزل القرآن على سبعة أحرف، تيسيرا للناس ورفعا للحرج عنهم.

المجلد13،العدد1، يونيو 2024
Volume 13, Issue 1, June 2024
The Scientific Journal of the Faculty of Education

الثاني: ما كان سببه يرجع إلى خاصية القرآن نفسه وهو إعجازه، كالانتقال من الغيبة إلى الخطاب أو إلى صيغة التكلم[18].

وذلك ما أشار إليه ابن عاشور .رحمه الله . وبين أن فوائد ذلك الاختلاف يعود إلى الاختلاف في وجوه النطق بالحروف والحركات والاختلاف في حروف الكلمات[19].

.أنواع القراءات التي ذكرها الشربيني في تفسيره:

كما بينا سابقا إن تفسيره .رحمه الله . مبني على القراءات القرآنية الصحيحة المتواترة، ولم يذكر القراءات الشاذة إلا نادرا وذلك للاستدلال مع بيان سبب إيرادها، وتوضيح ذلك كما يلي:

.أولا: القراءات الصحيحة:

ونعني بالقراءات الصحيحة القراءات السبع المتواترة، والثلاث القراءات، التي هي قراءة أبي جعفر، وقراءة يعقوب، وقراءة خلف، لكن الإمام الشربيني اقتصر على القراءات السبع، حيث كان يصرح بأسماء القراء السبعة بأسمائهم، ومثال ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: (ثم قست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون) سورة البقرة : 74 . يقول الشربيني . رحمه الله : " قرأ قالون وأبو عمرو والكسائي: ﴿ فهْي ﴾ بسكون الهاء، والباقون:﴿ فهِي ﴾ بكسرها"([20]).

ففي هذا المثال ذكر الخطيب الشربيني قراءة قالون وأبي عمرو والكسائي من القراء السبعة، وبعد ذلك قال: والباقون، ويقصد بذلك من تبقى من القراء السبعة، ومما يدل على أنه يريد بذلك القراء السبعة فقط أن أبا جعفر من القراء العشرة وقد وافق قالون وأبا عمرو والكسائي في قرائهم ولم يذكره، وذلك لأنه عزا القراءة إلى السبعة فقط.

وعند تفسيره لقول الله تعالى: (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم) سورة الأنفال : 67. قال .رحمه الله ." قرأ أبو عمرو :﴿ أن تكون ﴾ بالتاء على التأنيث، والباقون: ﴿ أن يكون ﴾ بالياء التذكير [21] . وفي هذا المثال ذكر الإمام الشربيني قراءة أبي عمرو وهو من القراء السبعة، ولم يذكر يعقوب وهو من القراء العشرة، مع أن يعقوب وافق أبا عمرو في القراءة، وهذا يؤكد أنه أراد بذلك القراء السبعة فقط.

كما أنه يذكر إجماع القراء السبعة في حال اتفقوا على قراءة واحدة، فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: (ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حق علينا ننج المؤمنين) سورة يونس : 103. ففي هذا المثال يقول الإمام الشربيني: " وأما الوقف على ﴿ننج ﴾ فجميع القراء يقفون على الجيم "[22].

ويقصد الشربيني .رحمه الله .بقوله (جميع القراء): القراء السبعة فقط، بدليل أن يعقوب وهو من القراء العشرة لم يقف على الجيم وإنما وقف على الياء [23]، فبقوله ذلك يشير الشربيني إلى السبعة فقط.

.ثانيا: القراءات الشاذة:

ونعني بالقراءة الشاذة كل قراءة فقدت ركنا من أركان القراءة الصحيحة، وقد أورد الإمام الشربيني .رحمه الله . القراءات الشاذة في تفسيره، ولكن الشربيني عندما أورد هذه القراءات لم يخرج على الشرط الذي اشترطه على نفسه وهو ذكر السبع المشهورات، وإنما ذكر القراءات الشاذة .كما بينا سابقا . من باب الاستدلال والترجيح للمعاني أو توضيح مسألة نحوية أو فقهية، ومثال ذلك ما يلي:

ما ذكره .رحمه الله . عند تفسيره لقول الله تعالى: (وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) سورة البقرة : 61. فيقول: ﴿ مصرا ﴾ البلد العظيم لا العلَم بفتح اللام، وقيل: أراد به العلَم وهي مصر موسى وفرعون، قال البيضاوي: ويؤيده القول بأن المراد بمصر العلَم أنه غير منون في مصحف ابن مسعود، أي: وهي قراءة شاذة، وإنما صرفه على هذا مع أن فيه العلمية والتأنيث لسكون وسطه كما في هند ودعد لمعادلة أحد سببي منع الصرف بخفة الاسم لسكون وسطه أو على تأويل مصر بالمكان فذكره فيبقى فيه سبب واحد فانصرف[24].

وأحيانا يذكر قراءة شاذة ولا يذكرها لوحدها وإنما بعد عرض قراءات متواترة، فيكون بذلك أورد القراءة الشاذة من قبيل الاستدلال بالمعنى، فمن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى: (وما هم على الغيب بضنين) سورة التكوير : 24. إذ قال: " وقرأ : ﴿ بظنين ﴾ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالظاء المشالة من الظنة، وهي التهمة، أي فليس بمتهم، والباقون: ﴿ بضنين ﴾ بالضاد موافقة للمرسوم من الضن وهو البخل، أي: فليس ببخيل بالوحي فيزوي بعضه، أو يسأل تعليمه فلا يعلمه، كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا وهو في مصحف عبد الله ﴿ بضنين ﴾ بالضاد، وكان .ﷺ .يقرأ بهما [25].

ففي هذا المثال السابق أورد الشربيني .رحمه الله . قراءتين شاذتين، بعد أن ذكر قراءتين متواترتين، وقد أورد الشربيني تلك القراءتين الشاذتين لتأييد القراءتين المتواترين، إذ أيد قراءة ابن

المجلد13،العدد1، يونيو 2024
Volume 13, Issue 1, June 2024
The Scientific Journal of the Faculty of Education

كثير وأبي عمرو والكسائي بقراءة عبد الله، وقراءة الباقون (نافع ، وابن عامر، عاصم، وحمزة) بقراءة أُبي.

وقد يذكر الشربيني قراءة شاذة ويقول إنها شاذة، وذكرها من قبيل بيان أوجه القراءة، ومثال ذلك: ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى: (هو الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) سورة الحشر : 24. قال: " ﴿ المصورُ ﴾ أي: الذي يخلق صور الأشياء على ما يريد بكسر الواو ورفع الراء إما صفة، وإما خبرا واحترزت بهذا الضبط عن قراءة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب والحسن، فإنهما قرآ ﴿ المصورَ ﴾ بفتح الواو ونصب الراء، وهي قراءة شاذة وقد تعرضت لها لأبين وجهها " [26]. فقد أورد الشربيني .رحمه الله .هذه القراءة الشاذة وصرح بأنها شاذة وذلك لبيان وجه من أوجه القراءات.

المبحث الثالث: منهجه في الاستدلال بالقراءات القرآنية:

اهتم الإمام الشربيني .رحمه الله .بالقراءات القرآنية أيما اهتمام، واعتنى بها عناية بالغة وبشكل واضح وجلي، ومن جملة اعتنائه بتلك القراءات استدلاله بها على العديد من القضايا، والقضايا التي استدل بها الشربيني في القراءات القرآنية كثيرة، منها: القضايا العقدية والأحكام الفقهية. موضوع بحثنا .وبيان ذلك كما يأتي:

المطلب الأول: منهجه في الاستدلال بالقراءات على الأحكام الفقهية:

تعد القراءات القرآنية دليلا من أدلة الأحكام الشرعية ومصدرا من مصادر التشريع الإسلامي، لارتباطها الوثيق بالقرآن الكريم، والقراءات المتواترة هي المعتبرة عند الفقهاء والأصوليين والمحدثين وأئمة المذاهب في الاستدلال على الأحكام الفقهية، والإمام الشربيني اعتمد في تفسيره على القراءات السبع المتواترة في استدلالاته على الأحكام الفقهية، والأمثلة في ذلك كثيرها نقتصر على ذكر بعضها، فمن ذلك ما يلي:

ـ ما ذكره في تفسيره لقول الله تعالى: (يا أيها الذين إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) سورة المائدة : 6 . قال .رحمه الله ." وقوله تعالى : ﴿ وأرجُلَكم ﴾ قرأ نافع وابن عامر وحفص والكسائي بنصب اللام عطفا على وجوهكم، وقيل: على أيديكم، والباقون: ﴿ وأرجِلِكم ﴾بكسر الجيم عطفا على الجوار(أقرب مذكور)، ومنهم من عطف على المجرور على قراءة الجر والممسوح ليفيد مسح الخف، وعطف على المنصوب على قراءة النصب على المغسول، ليفيد غسل الرجل المتجردة منه، فتفيد كل من القراءتين غير ما أفادته الأخرى[(27)].

ففي هذا المثال السابق ذكر الشربيني قراءتين متواترتين، واستدل بكل قراءة على حكم فقهي مختلف عن سابقه، ففي قراءة نافع وابن عامر وحفص والكسائي (قراءة النصب) استدل على جعل فرض الرجلين (الغسل)، وفي قراءة الباقين (قراءة الكسر)استدل على جعل فرض الرجلين (المسح).

.ومن ذلك ما ذكره .رحمه الله .عند تفسيره لقول الله تعالى: (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات الله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخذان فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وإن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم)سورة النساء: 25.

قال الشربيني: " قرأ شعبة وحمزة والكسائي: ﴿ أَحْصَنَ﴾ بفتح الهمزة والصاد على البناء للفاعل، أي: تزوجن، وقرأ الباقون: ﴿ أُحصِنَ ﴾ بضم الهمزة وكسر الصاد على البناء للمفعول، أي: زُوجن "[28].

أورد الإمام الشربيني .رحمه الله .في المثال السابق قراءتين متواترتين، وفي كل منها حكما فقهيا مختلف عن الآخر، ففي قراءة شعبة وحمزة والكسائي قراءة فتح الهمزة والصاد استدل على حكم فقهي مختلف على الحكم الفقهي المبني على قراءة الباقين قراءة ضم الهمزة وكسر الصاد، ولذلك فسر القراءتين بـ(تزوجن، وزُوجن).

المطلب الثاني: منهجه في الاستدلال بالقراءات على القضايا العقدية:

هناك ارتباط وثيق الصلة .وبدون شك .بين القراءات القرآنية والعقيدة الإسلامية، فمن خلال القراءات يتبين معنى الآيات القرآنية وتتضح دلالتها، وقد تعددت مناهج الاستدلال بالقراءات القرآنية عند الإمام الشربيني .رحمه الله .في تفسيره (السراج المنير)، من ذلك منهجه في الاستدلال بالقراءات على القضايا العقدية وأثر ذلك الاستدلال على المعاني .محور حديثنا في هذا المبحث . والأمثلة على ذلك كثيرة، منها ما يلي:

.ما ذكره .رحمه الله .عند تفسيره لقول الله تعالى: (بل عجبت ويسخرون) سورة الصافات : 12. قال: " قرأ حمزة والكسائي: ﴿ عجبتُ ﴾بضم التاء، وقرأ الباقون:﴿ عجبتَ ﴾ بفتحها، أما بالضم فبإسناد التعجب إلى الله تعالى وليس هو كالتعجب من الآدميين "[29].

ففي هذا المثال ذكر الشربيني .رحمه الله .قراءة حمزة والكسائي، وبين أن القراءة دلت على صفة من صفات الله تعالى وهي صفة التعجب، وأنه ليس كالتعجب من الآدميين، وهو الذي يتضمنه توحيد الأسماء والصفات.

المجلد13،العدد1، يونيو 2024
Volume 13, Issue 1, June 2024
The Scientific Journal of the Faculty of Education

ومن ذلك ما ذكره .رحمه الله .عند تفسيره لقول الله تعالى: (ذو العرش المجيدُ) سورة البروج: 15. قال .رحمه الله :" قرأ حمزة والكسائي:﴿ المجيدِ ﴾بجر الدال على أنه نعت للعرش أو لربك في قوله تعالى: (إن بطش ربك) سورة البروج : 12، قال مكي: وقيل لا يجوز أن يكون نعتا للعرش؛ لأنه من صفات الله تعالى، وهذا ممنوع؛ لأن مجد العرش علوه وعِظَمه كما قال الزمخشري، وقد وصف العرش بالكريم في آخر المؤمنين، وقرأ الباقون: ﴿ المجيدُ ﴾برفع الدال على أنه خبر بعد خبر، وقيل: هو نعت ل ذو، واستدل بعضهم على تعدد الخبر في هذه الآية، ومن منع قال: لأنها في معنى خبر واحد، أي: جامع بين هذه الأوصاف الشريفة، أو كل منها خبر لمبتدأ مضمر"[30].

وفي هذا المثال أورد الإمام الشربيني .رحمه الله .قراءتين متواترتين: الأولى: قراءة حمزة والكسائي بجر الدال، ووضح أن المراد منها نعت العرش، وأنكر عليه مكي والزمخشري، والثانية: قراءة الرفع وهي التي يستدل منها أن﴿ المجيد ﴾ صفة لله تعالى، الذي يتضمنه توحيد الأسماء والصفات.

.ومن ذلك ما ذكره .رحمه الله - عند تفسيره لقول الله تعالى: (ألا يسجد لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون) سورة النمل: 25. قال .رحمه الله: " أي أن يسجدوا له، فزيدت (لا) وأدغمت فيها نون (أن)، كما في قوله تعالى: (لئلا يعلم أهل الكتاب) سورة الحديد : 29، والجملة في موضع مفعول يهتدون بإسقاط إلى، هكذا قرئت ﴿ألّا﴾ بالتشديد، وهي قراءة غير الكسائي، أما الكسائي فقرأ :﴿ ألا يا أسجدوا ﴾بتخفيف ألا، وفيها تنبيه واستفتاح وما بعدها حرف نداء ومناداه محذوف"[31].

قال: " ويقف الكسائي على﴿ ألا﴾، وعلى ﴿ يا ﴾، وعلى ﴿ اسجدوا ﴾، وإذا ابتدأ اسجدوا ابتدأ بالضم، ثم وصف الله تعالى بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من الاتصاف بكمال القدرة والعلم، حثا على السجود له، وردا على من يسجد لغيره سبحانه وتعالى "[32].

ففي المثال السابق ذكر الإمام الشربيني .رحمه الله .قراءة الإمام الكسائي، موضحا أن هذه القراءة أدت دورا مهما في ترسيخ جانبا من جوانب العقيدة، وهو إفراد الله تعالى بالعبودية، وأنه لا يجوز صرف السجود لغيره.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد:

فهذه المقالة العلمية المتواضعة، متعلقة بمنهج الإمام الشربيني في الاستدلال بالقراءات القرآنية على الأحكام الفقهية، والقضايا والمسائل العقدية، من خلال تفسيره (السراج المنير)، وقد توصلت إلى جملة من النتائج والتوصيات، وذلك على النحو التالي:

أولا: النتائج:

1. تتركز أهمية علم القراءات القرآنية التي هي من أفضل العلوم في فهم القرآن الكريم، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحِكمه، إذ هي من أعظم مباحث علوم القرآن وأشرفها على الإطلاق، لتعلقها بكلام الله تعالى.

2. ركز الإمام الشربيني .رحمه الله .في تفسيره (السراج المنير) في عرضه هذا على القراءات القرآنية المتواترة، بل على السبع القراءات المشهورة، وكل ذلك خدمة للتفسير، من خلال بيان المعاني الشرعية واستخراج القضايا العقدية والمسائل والأحكام الفقهية.

3. إن الاستدلال بالقراءات القرآنية وتوجيهها، علم عظيم، وفن جليل، يعرف به تفسير القرآن الكريم وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه.

ثانيا: التوصيات:

توصلت في نهاية هذا البحث المتواضع إلى جملة من التوصيات، أهمها:

1.ضرورة جمع القراءات القرآنية الواردة في تفسير (السراج المنير) وتحقيقها وتخريجها من كتب القراءات، ثم وضعها في كتاب مستقل، كإضافة مفيدة للمكتبة الإسلامية.

2. ضرورة العناية بعلم القراءات القرآنية، وإنشاء مؤسسات ومعاهد علمية ومكتبات خاصة بهذا العلم النفيس، وتزويد المكتبات بالمراجع والمصادر الخاصة بهذا العلم، ليبقى ذلك إرثا يتوارثه الأجيال.

3. إعادة طباعة تفسير (السراج المنير)، ليفيد منه طلبة العلم، فهو تفسير جليل النفع، عظيم الفائدة، سهلٌ وميسرٌ، حيث توجد به مادة علمية قيمة في القراءات، والتفسير، والفقه، والأدب، واللغة.[33].

الهوامش:

[1].صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب صلاة المسافرين وقصرها، بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه ، (1 / 562).

[2].شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد ، تح: محمود الأرناؤوط ،(10/ 561).

[3].معجم البلدان ، الحموي ، (2/ 459)

[4].انظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مرجع سابق ، (10/ 171)

[5].الإقناع في ألفاظ أبي شجاع ، الشربيني ، (ص 47).

[6].ينظر شذرات الذهب ، مرجع سابق ، (10 / 562) .

المجلد13،العدد1، يونيو 2024
Volume 13, Issue 1, June 2024
The Scientific Journal of the Faculty of Education

[7].الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، الغزي ، تحقيق خليل المنصور ، (3 / 72) .

[8].انظر خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، الحموي ، (2 / 378).

[9].انظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، دار الكتب العلمية.بيروت ، ط 1، (2004 م) ، (1/ 21).

[10].انظر : الكواكب السائرة ، الغزي ، (3 / 72) ،شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، مرجع سابق ، (10 / 561).

[11].السراج المنير ، الشربيني ، مرجع سابق ، (1/ 550).

[12].السراج المنير، الشربيني، (1 / 10) .

[13].نفس المرجع السابق، (1 / 301) .

[14].نفس المرجع السابق ، (1 / 302) .

[15].لسان العرب ، ابن منظور ، (2 / 165) ، وأنظر السراج المنير ، مرجع سابق ، (4 / 177) .

[16].السراج المنير ، مرجع سابق (2 / 259) .

[17].مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء التراث العربي.بيروت، (1 / 142 ،)، ينظر النشر في القراءات العشر، الحافظ ابن الخير محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، دار الكتب العلمية.بيروت ، (2 / 52).

[18].ينظر منهج الطبري في القراءات ، رسالة ماجستير، عبد الرحمن الجمل ، ص 97.

[19].تفسير التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور ، (1 / 51) .

[20].السراج المنير ، مرجع سابق ، (1 / 81) .

[21].السراج المنير ، مرجع سابق ، (1 / 665) .

[22].نفس المرجع ، (2 / 44) .

[23].أنظر : البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ، القاضي ، (1 / 151) .

[24].السراج المنير ، مرجع سابق ، (1 / 75) .

[25].السراج المنير ، مرجع سابق ، (4 / 561) .

[26].نفس المرجع ، (4 / 175) .

[27].السراج المنير ، مرجع سابق ، (1/ 415) .

[28].نفس المرجع السابق ، (1/ 341) .

[29].السراج المنير، مرجع سابق ، (3 / 453) .

[30].السراج المنير، مرجع سابق ، (4 / 588) .

[31].السراج المنير ، مرجع سابق ، (3 / 99) .

[32]. نفس المرجع السابق ، (3 / 100) .

❋❋❋